الجزءان :

الخامس والسادس

obeikandl.com

obeikandl.com

الآفة التاسعة والعشرون
رفض النقد والنصيحة

والآفة التاسعة والعشرون التى يكون الوقوع فيها سببًا فى عواقب وخيمة ومخاطر جسيمة تكاد تهلك الحرث والنسل، وتحول دون النهوض والتقدم إنما هى: « رفض النقد والنصيحة ».

وحتى يتحرر منها مَنْ ابتُلى بها، ويتوقَّاها مَنْ سلَّمه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ منها، فإنه لابدَّ من تنفيذ سلسلة من الأعباء والمسؤوليات تجمعها هذه السطور على هذا النحو :

أولا : تعريف «رفض النقد والنصيحة» لغة واصطلاحًا :

معلوم أنَّ «رَفْضَ النقد والنصيحة » مُركَّبٌ إضافى مُؤلف من كلمتين هما: «رفض»، و«نقد» أو «نصيحة»، والأمر يقتضى بيان معنى كلٍّ على حدة، قبل التركيب، ثم بيان معناهما بعد التركيب، ودونك البيان :

أ ـ الرفض لغة : الترك، تقول : رفضه يرفضه رَفْضًا، ورَفَضًا : تركه [1] .

الرفض اصطلاحًا : اسم للمعاندة أو القمع، وعند الفلاسفة لفظ مدرسىٌّ يستخدمه المحدثون للدلالة على معاندة الإرادة لدافع معيَّن، أو قمع فعل على وشك التحقق، إذا لم تقف الإرادة عقبة فى سبيل ذلك [2] .

ب ـ النقد لغة : يأتى النقد لغة على معانٍ، منها:

١ ـ نقرُ الشىء لاختباره، أو لتمييز جيده من رديئه، تقول: نَقَدَ الطائر الفخَّ، ونقدْتُ رأسَه بأصبعى، ونَقَدَ الدراهم والدنانير، وغيرهما نقدًا، وتنقادًا: ميَّز جيدها من رديئها، وتقول: نَقَدَ النثر والشعر: أظهر ما فيهما من عيب أو حُسْن.

٢ ـ العيب والاغتياب، تقول: فلان ينقد الناس: يعيبهم ويغتابهم.

---

[1] انظر: القاموس المحيط ٢/ ٤٨٨ ـ ٤٨٩، الصحاح فى اللغة والعلوم، ص ٣٩٥، مادة: «رفض» بتصرف كثير.

[2] المرجع السابق.

٣ ـ وقوع الفساد فى الشَّىء ، تقول : نَقدَ الشىءُ نَقَدًا : وقع فيه الفساد ، ونَقِدَ الضَّرْسُ، أو القَرْن: تأكَّل وتكسَّر، ونَقِدَ الحافِرُ: تقشَّر.

٤ ـ المناقشة فى الأمر، تقول : ناقَدَهُ فى الأمر : ناقشه فيه (١) .

جـ ـ **النقد اصطلاحًا** : والنقد : اصطلاحًا : له إطلاقان :

١ ـ الأول : إظهار عيب الشىء، وفساده.

٢ ـ مناقشة الأمر لإظهار ما فيه من جودة ورداءة، وحسن وعيب (٢) .

د ـ **النصيحة لغة** : تأتى النصيحة لغة على معانٍ، منها :

١ ـ تخليص الشىء من شوائبه، تقول : نصح الشىءُ ، والشىءَ نصحًا ، ونصوحًا، ونصاحةً خَلَصَ، ونصحتْ توبتُه : خَلَصَتْ من شوائب العزم على الرجوع.

٢ ـ الآلة التى بها يخلص الشىء من شوائبه حسية كانت أم معنوية، كالإبرة مثلا فى حياكة الثوب وإصلاحه، وكالكلمة أو السلوك فى الإرشاد إلى فعل الخير، وتجنب الشرِّ.

٣ ـ الناصح والنَّصَّاح، وهو الذى يتولى تخليص الشىء من شوائبه وعيوبه(٣) .

ولا تعارض بين هذه المعانى جميعًا، فإنها قيام ناصح بتخليص الشىء من عيوبه وشوائبه بالآلة أو الوسيلة المناسبة.

هـ ـ **النصيحة : اصطلاحًا** : والنصيحة اصطلاحًا: الإرشاد بالأسلوب المناسب والوسيلة الملائمة إلى تخلِّى المرء عن كلِّ ما فيه عيب وفساد، مع تحليه ومحافظته على كلِّ ما ينبغى من خير وصلاح شريطة ألا يتعارض الأسلوب والوسيلة مع الشرع.

قال الخطابى : «النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظِّ للمنصوح له، ويقال: إن هذه الكلمة من وجيز الأسماء، ومختصر الكلام، فإنه ليس فى كلام العرب كلمة مفردة تستوفى بها العبارة عن معنى هذه الكلمة، حتى يضمَّ إليها شىء آخر، كما قالوا فى الفلاح: إنه ليس فى كلام العرب أجمع لخير الدنيا والآخرة منه، حتى صار ليس يعدله

(١) انظر: القاموس المحيط ١/ ٦٤٢ ـ ٦٤٣ ، الصحاح فى اللغة والعلوم ص ١١٩٥، المعجم الوسيط ٢/ ٩٤٤ مادة : «نقد» بتصرف كثير.

(٢) انظر: المعجم الوسيط ٢/ ٩٤٤ بتصرف.

(٣) انظر: القاموس المحيط ١/ ٥٠٠ ـ ٥٠١، الصحاح فى اللغة والعلوم ص ١١٧١، المعجم الوسيط ٢/ ٩٢٥ مادة : «نصح» بتصرف كثير .

شىء من الكلام فى معناه، ولذلك قالوا: أفلح الرجل : إذا فاز بالخير الدائم الذى لا انقطاع له »(١) .

وواضح مدى الترابط بين المعنى اللغوى للنصيحة والمعنى الاصطلاحى، حتى قال الخطابى : « ويُقال: إن أصل النصيحة مأخوذ من قولهم: نصح الرجل ثوبه إذا خاطه، والنِّصاح: الخيط، شبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بفعل الخيَّاط فيما يَسُدُّه مِنْ خلل الثوب، وَ يَلأَمَه مِنْ فتوقه، ويجمعه من الصَّلاح فيه، وقيل: إنها مأخوذة مِنْ نصحتُ العسل إذا صفيته من الشمع: شبهوا تخليص القول والعمل مِنْ شوب الغش والخيانة، بتخليص العسل من الخلط الذى فيه »(٢) .

وحتى قال المازرى : « النصيحة تحتمل أن تكون مشتقة من نصحتُ العسل، إذا صفَّيْتُه، ويحتمل أن تكون من النصح، وهى الخياطة، والإبرة: المنصحة، والنِّصاح: الخيط الذى يُخاط به، والناصح: الخياط، فمعناه أنه يلم شعث أخيه كما تلمُّ المنصحة: خرَق الثوب »(٣) .

وانطلاقًا مما تقدم فإنَّ رفض النقد والنصيحة يعنى: عدم النزول على رأى الناقد والناصح، بل عدم قبول المناقشة فيما عساه يكون فيه من عيب أو خلل، حتى وإن استوفى كلٌّ من النقد والصيحة الضوابط والآداب المعروفة.

ثانيًا : موقف الشارع الحكيم من رفض النقد والنصيحة :

ويعيب الشارع الحكيم مَنْ يرفض النقد والنصيحة دون مبرر مقبول، إذ يقول سبحانه : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (٥٧)** ﴾ [الكهف] .

يقول ابن عطية ـ رحمه الله: «لا أحد أظلم مِمَّن هذه صفته: أن يعرض عن الآيات بعد الوقوف عليها بالتذكير، ويطرح كبائره التى أسلفها، هذه غاية الإهمال »(٤) .

ويقول سبحانه : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ (٢٢)** ﴾ [السجدة] .

---

(١) انظر: أعلام الحديث ١٠/ ١٨٩ ـ ١٩٠، وعنه نقل ابن حجر فى: فتح البارى ١/ ١٣٨ .
(٢) انظر: أعلام الحديث ١/ ١٩٠، وعنه نقل ابن حجر فى : فتح البارى ١/ ١٣٨ .
(٣) انظر: المعلم بفوائد مسلم ١/ ٢٩٣، وعنه نقل ابن حجر فى : فتح البارى ١/ ١٣٨ .
(٤) انظر: المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ٩/ ٣٤٢ .

كما يحكى عن المكذبين رفضهم النقد والنصيحة فى قوله سبحانه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ(١٠٤) ﴾ [المائدة] .

ويحكى عن صالح خطابه لقومه حين رفضوا النصيحة، وكذَّبوهُ، فأهلكهم الله، فيقول: ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧٧) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ(٧٨) فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (٧٩) ﴾ [الأعراف] .

كما يحكى مثل ذلك عن شعيب مع قومه فيقول : ﴿وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ (٩٠) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩١) الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ(٩٢) فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٩٣)﴾ [الأعراف] .

ويحكى رفض الماضين للنصيحة التى جاءتهم على ألسنة الأنبياء والمرسلين علَّ الرافضين لها منَّا يعتبرون، وينزجرون، فيقول : ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٩) قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (١٠) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١) وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (١٢)﴾ [إبراهيم] .

ويجعل سبحانه ذلك من صفات المنافقين فيقول: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦) ﴾ [البقرة] . ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ (١٢)﴾ [البقرة] . ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ

﴿ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾ [النساء]. ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [المنافقون].

وتوعد ﷺ مَنْ لا يقوم بواجب النصيحة، ومَنْ لا يقبلها بقوله: «ما بال أقوام لا يُفقهون جيرانهم، ولا يُعلمونهم، ولا يعظونهم، ولا يأمرونهم، ولا ينهونهم، وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم، ولايتفقهون، ولا يتعظون، والله ليعلمنَّ قوم جيرانهم: يفقهونهم، ويعظونهم، ويأمرونهم، وليتعلمنَّ قوم من جيرانهم، ويتفقهون، ويتعظون، أو لأعاجلنَّهم العقوبة»، وأعاد ذلك مرارًا، حتى قال المعنيُّون بالخطاب: أمهلنا سنة ليفقهوهم، ويعلموهم، ويعظوهم، ثم قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [المائدة][1].

وهكذا تتضافر الآيات والأحاديث على ذمِّ مَنْ يوجه إليه نقد أو تُسدى له نصيحة، فلا يقبل.

وقد فهم السلف ذلك. حسبنا قول ابن مسعود رضي الله عنه: «إن من أكبر الذنب أن يقول الرجل لأخيه اتق الله، فيقول: عليك نفسك أنت تأمرني؟»[2].

ثالثًا: أسباب أو بواعث رفض النقد والنَّصيحة:

ولرفض النقد والنَّصيحة أسبابٌ تؤدى إليه، وبواعث توقع فيه، ومنها:

١ ـ خلوُّ النقد والنصيحة من شروط وآداب القبول:

ذلك أن لقبول النقد والنصيحة شروطًا وآدابًا من: تخير أنسب الظروف، وأحسن الأحوال، وأجمل الألفاظ، وإبراز المحاسن، ودقة التحرِّى، والتثبُّت، ومراعاة السريَّة، وترك الجدل واللجاج، وإرادة وجه الله، ثم الخير للمنتقد أو المنصوح، دون الشماتة، والفضيحة.. وهلمَّ جرا.

---

(١) الحديث أورده الهيثمى فى: مجمع الزوائد: كتاب العلم: باب فى تعليم مَنْ لا يعلم ١/ ١٦٤، وعزاه إلى الطبرانى قائلا: «رواه الطبرانى فى الكبير، وفيه: بكير بن معروف، قال البخارى: ارم به، ووثقه أحمد فى رواية، وضعَّفه فى أخرى، وقال ابن عدىٍّ: أرجو أنه لا بأس به».

(٢) الحديث أورده الهيثمى فى: مجمع الزوائد: كتاب الفتن: باب فيمن يؤمر بالمعروف فلا يقبل ٧/ ٢٧١، وعزاه إلى الطبرانى قائلا: «رواه الطبرانى، رجاله رجال الصحيح».

ويوم أن يخلو النقد أو النصيحة من هذه الشروط وتلك الآداب فإنه يكون محل رفض وعدم قبول .

ولذا رأينا ربَّ العزة سبحانه يقطع الطريق على فرعون حين يوصى موسى وهارون ـ عليهما السَّلام ـ أن يُحسنا التعامل معه فى القول، فيقول لهما : ﴿ **فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ** ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه] .

ويقول لموسى عليه السلام : ﴿**اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ** ﴿١٧﴾ **فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ** ﴿١٨﴾ **وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ** ﴿١٩﴾ ﴾ [النازعات] .

« والمعنى كما يقول ابن عباس رضي الله عنهما لا تعنفاه فى قولكما، وارفقا به فى الدعاء، ويتحقَّق ذلك بعبارات شتَّى، منها ما سيأتى إن شاء الله تعالى قريبًا، وهو ﴿**إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ**﴾ ، ومنها ما فى النازعات ، وهو ﴿ **هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ** ﴿١٨﴾ **وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ** ﴿١٩﴾ ﴾ ، وهذا ظاهر غاية الظهور فى الرفق فى الدعاء فإنه فى صورة العرض والمشورة، وقيل: كنَّياه، واستدل به على جواز تكنية الكافر،وروى ذلك عن علىٍّ ـ كرم الله وجهه، وابن عباس رضي الله عنهما أيضًا ، وسفيان الثورى ، وله كنىً أربع : أبو الوليد ، وأبو مصعب، وأبو العبَّاس، وأبو مرَّة ، وقيل : عِداهُ شبابًا لا يهرم بعده، وملكًا لا يُنزع منه إلا بالموت، وأن يبقى له لذَّة المطعم والمشرب والمنكح إلى حين موته، وعن الحسن: قولا له: إن لك ربًا، وإن لك معادًا ، وإن بين يديك جنَّة وناراً، فآمن بالله تعالى يدخلك الجنَّة، ويقك عذاب النار » (١) .

وعن جرير رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنَّه قال : «مَنْ يُحْرَم الرِّفْقَ يُحْرَم الخير» (٢) .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا عائشة،إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف، وما لا يعطى على ما سواه » (٣) .

وعنها أيضًا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه، ولا يُنزع من شىء إلا شانه » (٤) .

---

(١) انظر: روح المعانى للألوسى ١٦/ ١٩٥ المجلد السادس.

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب البرِّ والصلة والآداب : باب فضل الرفق ٤/ ٢٠٠٣ برقم (٢٥٩٢) بهذا اللفظ .

(٣) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح: كتاب البرِّ والصلة والآداب: باب فضل الرفق ٤/ ٢٠٠٣ ـ ٢٠٠٤ برقم (٢٥٩٣) بهذا اللفظ .

(٤) الحديث أخرجه مسلم فى: الصحيح :كتاب البرِّ والصِّلة والآداب: باب فضل الرفق ٤/ ٢٠٠٤ برقم (٢٥٩٤)، وأبو داود فى: السنن: كتاب الجهاد: باب ما جاء فى الهجرة وسكنى البدو ٣/ ٧ برقم (٢٤٧٨)، كلاهما من حديث عائشة مرفوعًا، واللفظ لمسلم.

٢ ـ الإعجاب بالنفس، بل الغرور، والتكبر :

وقد يكون الإعجاب بالنفس، بل الغرور والتكبر سببًا من أسباب رفض النقد أو النصيحة، ذلك أن المنتقد أو المنصوح يرى نفسه والحالة هذه أرفع وأكبر من أن يوجه إليه نقد أو تُسدى إليه نصيحة، ولا شك أن هذا خذلان وأى خذلان، قال تعالى : ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً﴾ [الأعراف : ١٤٦] .

وحكى عن صنف من الناس تُوَجَّهُ إليه النصيحة أو النقد فتأخذه العزة بالإثم، ولا يقبل، قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦) ﴾ [البقرة] .

كما حكى نصيحة قوم قارون له وردَّه عليهم، فقال : ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾

[القصص]

٣ ـ الخصومات أو العداوات :

وقد تكونُ الخصومات أو العداوات من أسباب عدم قبول النقد أو النصيحة، ذلك أن الخصوم أو الأعداء لا يقبلُ بعضُهم مِنْ بعض عادةً أو بداهةً.

فالمؤمنون لا يقبلون من الكافرين الدعوة إلى الإلحاد، أو الشرك والوثنية، والكافرون لا يقبلون من المؤمنين الدعوة إلى التوحيد والتزام الصدق والفضيلة إلا من رحم الله.

قال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ﴾ [البقرة : ١٤٥] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ (٥٨) ﴾ [الروم].

٤ ـ المراء أو الجدل بالباطل :

وقد يكون المراءُ أو الجدلُ بالباطل من بين الأسباب التى تحمل على رفض النقد أو النَّصيحة، ذلك أن الممارى أو المُجادل بالباطل ليس سهلا أو ميسورًا عليه أن يقبل النقد أو النَّصيحة، لأنه بذلك يشعر بالانهزام والحقيقة أنَّه لا يريد أن ينهزم.

حكى الحق سبحانه ردَّ قوم نوح عليه فى قوله : ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ(٣٢)﴾ [هود] .

٥ ـ اتباع الهوى :

وقد يكون اتباع الهوى من بين الأسباب التى تحمل على رفض النقد أو النصيحة، ذلك أن من يتبع هواه إنما يجعل إلهه هذا الهوى، وتبعًا لذلك لايقبل من غيره أىَّ نقد وإن كان حقًا، ولا نصيحة وإن كانت خيرًا.

وصدق الله الذى يقول : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦) ﴾ [ص] . ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠) ﴾

[القصص]

٦ ـ البيئة التى ينشأ فيها المرء :

وقد تكون البيئة التى ينشأ فيها المرء ـ قريبةً كالبيت، أم بعيدةً كالمجتمع ـ من بين الأسباب التى تحمل على رفض النقد أو النصيحة، ذلك أن المرء إذا لم يُعلَّم فى بيته الذى نشأ وتربى فيه على قبول النقد والنصيحة، وكذلك إذا كان أترابه وأقرانه الذين يعيش معهم مِمَّنْ يرفضون النقد أو النصيحة فإنه ينشأ ويظلُّ هكذا إلا أن تتداركه مَعيَّةُ الله ورحمته.

ولذلك كان الاهتمام باستقامة وصلاح البيئة التى ينشأ فيها المرء من أهم ما يساعد على استقامة وصلاح هذا المرء، والله يهدى مَنْ يشاء إلى صراطٍ مستقيم.

٧ ـ شعور المنتقد أو المنصوح دونية الناقد أو الناصح :

وقد يكون شعور المنتَقَد أو المنصُوح أن الناقد أو الناصح أدنى منه منزلةً أو سِنًا أو علمًا ونحو ذلك، فيحمله ذلك على رفض النقد أو النصيحة ولو درى المنتقد أو المنصوح أنَّ الكلمة الحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها فهو أحقُّ الناس بها لقبلها ولو من الصغير، والأدنى منزلة، والأقل علمًا.

ها هو الداخلى شيخ البخارى ـ وهو مَنْ هو علمًا وفضلا ـ يقول يومًا فيما كان يقرأ للناس : « سفيان، عن أبى الزبير، عن إبراهيم » فيرد عليه البخارى وهو ابن إحدى عشرة سنة قائلا : « يا أستاذ ، إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم » فانتهره ، فقال

له البخارى : « ارجع إلى الأصل إن كان عندك »، فدخل، فنظر فيه، ثم رجع، فقال: كيف هو يا غلام ؟ فقال البخارى : « هو الزبير، وهو ابن عدىٍّ، عن إبراهيم » فأخذ القلم، وأصلح كتابه، وقال: « صدقْتَ » (١).

وهكذا كان المسلمون على مرِّ العصور يقبلون النقد أو النصيحة، ولو من الأدنى، ما دامتْ قد استوفتْ شروطها وآدابها.

٨ ـ ظن المنتَقد أو المنصوح تشهير الناقد والناصح وشماتته :

وقد يكون ظنُّ المنتَقَد أو المنصوح تشهير وشماتة الناقد أو النَّاصح من بين الأسباب التى تحمل على رفض النقد أو النصيحة، دون أن يكون هناك دليل أو برهان على مثل هذا الظن، وقد قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا** ﴾ [الحجرات : ١٢] .

وقال النبى ﷺ : « إياكم والظنَّ، فإن الظنَّ أكذب الحديث. . . » الحديث(٢) .

٩ ـ اعتقاد المنتَقد أو المنصوح أنَّه فى غنى عن النَّقد أو النصيحة:

وقد يكون اعتقاد المنتقد أو المنصوح أنَّه بلغ الكمال فصار فى غنىً عن النقد أو النصيحة من بين الأسباب التى تحمل على رفض النقد أو النصيحة، ناسيًا أو متناسيًا أن الكمال لله وحده، وأنه لا عصمة لأحد من الخلق سوى مَنْ ضَمِنَ الله لهم العصمة، وهم الأنبياء والمرسلون والملائكة، والعاقل هو الذى يتهم نفسه ولا يبرِّئها من العيب أبدًا .

وصدق الله الذى يقول : ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِى إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّى إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾** ﴾ [يوسف] .

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : « الكَيِّس مَنْ دانَ نفسه ، وعمل لما بعد الموت. . . » الحديث (٣) .

---

(١) انظر : هدى الساري مقدمة فتح البارى لابن حجر: باب ذكر نسب البخارى ومولده، ومنشئه، ومبدأ طلبه للحديث ص ٤٧٨ .

(٢) الحديث سبق تخريجه فى : الجزء الثالث، آفة « سوء الظن » .

(٣) الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن: كتاب صفة القيامة: باب منه ٤/ ٥٥٠ رقم (٢٤٥٩)، وابن ماجه فى: السنن: كتاب الزهد: باب ذكر الموت والاستعداد له ٢/ ١٤٢٣ رقم (٤٢٦٠)، وأحمد فى : المسند ٤/ ١٢٤ كلهم من حديث شداد بن أوس مرفوعًا، وتمامه: « والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنَّى على الله »، وعقَّب الترمذى بقوله: « هذا حديث حسن».

١٠ ـ الغفلة عن العواقب المترتبة على رفض النقد والنصيحة :

وأخيرًا قد تكون الغفلة عن العواقب المترتبة على رفض النقد أو النصيحة من بين الأسباب التى تحمل على هذا الرفض، وهذا حق، فإن مَنْ جهل شيئًا عاداه، أو المرء عدوٌّ ما يجهل. كما قال الله عز وجل : ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس : ٣٩]

رابعًا : آثار رفض النقد والنصيحة :

ولرفض النقد والنصيحة آثار خطيرة، وعواقب وخيمة على العاملين وعلى العمل الإسلامى، ودونك بعض هذه الآثار، وتلك العواقب:

أ ـ على العاملين :

فمن آثار رفض النقد والنصيحة على العاملين :

١ ـ الاستمرار على الخطأ :

وربما يكون ذلك تكذيبًا بحقٍّ، أو عدوانًا على أبرياء، وحينئذٍ يكون الهلاك والعياذ بالله، وما خبر الرافضين للحق، المترفعين على النصيحة الذين أهلكهم الله بسبب ذلك عنَّا ببعيد، قال تعالى : ﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠) ﴾ [العنكبوت] .

والعياذ بالله، وما خبر الرافضين للحق، المترفعين على النصيحة الذين أهلكهم الله بسبب ذلك عنَّا ببعيد، قال تعالى : ﴿فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠)﴾ [العنكبوت].

وقال فى ثمود بخصوصهم : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٨) ﴾ [الأعراف]

وحكى نصيحة صالح لهم بقوله : ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (٧٩) ﴾ [الأعراف] .

وقال فى أهل مدين بخصوصهم : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩١) الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (٩٢) ﴾ [الأعراف] .

وحكى نصيحة شعيب لهم بقوله : ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الأعراف] .

٢ ـ تعريض النفس للاحتقار والسخرية والطعن من الآخرين :

فإن الناس ينظرون إلى رافض النقد أو النصيحة على أنه امرؤ غير عارف قدر نفسه، مدَّع اتصافها بما ليس فيها: الأمر الذى قد يحملهم على احتقاره والسخرية منه، بل والطعن فيه،ومَنْ وصل إلى هذا المستوى فأىُّ كرامة،أو منزلة له بين قومه . وصدق الله الذى يقول : ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ...﴾ [الحج: ١٨] .

٣ ـ فتح الباب أمام الناشئة ومَنْ لا حصانة لديهم أن يتصفوا بهذه الآفة تقليداً ومحاكاةً :

الأمر الذى يُحمِّل رافض النَّقد أو النصيحة إثمين : إثم نفسه، وإثم مَنْ قلَّده، وحاكاه، ويصدق فيه قول النبى ﷺ : «...ومَنْ دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام مَنْ تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا » الحديث [١] .

وقد شاهدنا ومازلنا نشاهد قادة لبعض الجماعات والأحزاب، حملهم الترفع على النقد أو النصيحة أن شقوا طريق العنف فى مواجهة السُّلطات، وقلدهم أو حاكاهم الناشئة ومَنْ ليستْ لديهم حصانة فكرية، وجرت بسبب ذلك ومازالت حمامات، وأنهار من الدم، ولا يعلم إلا الله متى تنتهى أو تتوقف.

ب ـ على العمل الإسلامى :

ومن آثار رفض النقد والنصيحة على العمل الإسلامى :

١ ـ التوقف عن التنمية والعطاء :

ذلك أن الاستمرار على الخطأ دكتاتوريةٌ أو استبدادٌ ، وتلك تتوقف بالعمل الإسلامى عن التنمية والعطاء ومواكبة مستجدات العصر.

وحسبنا أنَّ نفراً من الإسلاميين الغيوريين مازال يصرُّ على أن يبقى الجهاد بالسَّيف فى عصر راجمات الصواريخ، والأسلحة الجرثومية، والكيماوية، والنووية... ونحوها، رافضاً كل نقد أو نصيحة، وأن نفراً آخر من هؤلاء مازال يصر على ترك مقاعد الدراسة العلمية التجريبية ليشتغل بتحصيل العلم الشرعى، معتمداً على عدوه فى

---

(١) الحديث سبق تخريجه فى الجزء الثانى، آفة «التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة».

طعامه، ولباسه، وشرابه، وسكناه، ومواصلاته، وتطبيبه، ونحوها، غير مبالٍ بأيِّ نقدٍ أو نصيحة.

٢ ـ تشويه صورة العمل الإسلامى بل العمل على القضاء عليه بضربه أو على الأقل إجهاضه :

وهذا أمر بدهى من مجتمع متوقف عن التنمية والعطاء، حيث يفتح الباب أمام الحاقدين، والكارهين لهذا العمل لتشويهه، وربما محاولة القضاء عليه بضربه، أو على الأقل إجهاضه فلا يؤتى ثماره إلا بعد عشرات السنين، وهذا فيه من الخسارة ما فيه.

كما هو قائم الآن فى أكثر من بلد من بلدان العالم العربى والإسلامى.

خامسًا : علاج رفض النقد والنصيحة :

وإذ قد وقفنا على ماهية رفض النقد والنصيحة، وموقف الشارع الحكيم من ذلك، والأسباب أو البواعث، والآثار والنتائج، فإنه يسهل تقديم العلاج بل الوقاية، ويكمن ذلك فى اتباع هذه الخطوات :

١ ـ التعريف بالنفس :

وذلك بأن يوضع بين يَدَىْ المنصوح والمنتقَد: أن النَّفْسَ البشرية جُبِلتْ على الخطأ إلا من عصم الله من النبيين، والمرسلين، وأنه ليس عيباً على المرء أن يخطئ، وإنما العيب كل العيب أن يُصرَّ على الخطأ. قال تعالى : ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴿٥٣﴾﴾ [يوسف].

وعلَّقَ ابن عطية على الآية بقوله : « وهذه أيضاً مختلف فيها: هل هى مِنْ كلام يوسف أم من كلام المرأة حسب التى قبلها ؟ »(١) ، ولخص أن فيها رأيين:

الأول : أنها مِنْ كلام يوسف عليه السلام ، وذكر أدلة مرفوعة، وموقوفة، ومقطوعة لا تخلو من ضعف الإسناد، بل ضعف المتن لمعارضتها العصمة التى هى من خصائص الأنبياء والمرسلين.

والآخر: أنها من كلام المرأة، امرأة العزيز، ووجه كلامها: «الاعتذار عن وقوعها فيما يقع فيه البشر من الشهوات، كأنها قالتْ: وما هذا ببدع، ولا ذلك بنكير على

(١) انظر : المحرر الوجيز ٨ / ١ .

البشر فأبرئ أنا منه نفسى، والنفوس أمارات بالسوء مائلة إليه » (١) ، وقال ﷺ : «كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون » (٢) .

٢ ـ التذكير بعواقب الرافضين للنقد والنصيحة :

وذلك بأن يوضع بين يدى المنصوح كذلك: عواقب الرافضين للنقد والنصيحة مثل قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وأصحاب مدين، وفرعون وقومه، وسائر المكذِّبين، قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت].

إذ وَضْعُ هذه العواقب على هذا النحو من شأنه أن يحمل المرء إذا كان عاقلا أن ينزعج قلبه، ويخاف العقاب بمثل هذه العواقب، فيقبل النصيحة، وحين يقبل القلب النصيحة يأمر الجوارح أن تفارق الإثم والخلل، وتنزل على ما يوجبه النقد أو النصيحة من باب قول النبى ﷺ : « . . . ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحتْ صَلَحَ الجسدُ كله، وإذا فسدتْ فَسَدَ الجسد كله، ألا وهى القلب » (٣) .

٣ ـ التربية على التواضع :

وذلك بالتركيز على تحرير النفس من الإعجاب والغرور والتكبر، فتصبح صالحة لقبول التواضع الذى يدل على التحلِّى به : قبول النقد ، أو النصيحة ، وسبيل ذلك : ما مضى آنفًا من علاجات لهذه الآفات، وكذلك ببيان فضل التواضع، ومنزلة صاحبه

---

(١) انظر : المحرر الوجيز ٨ / ١ ـ ٢ بتصرف كثير .

(٢) الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع: باب منه ٤/ ٥٦٨ ـ ٥٦٩ رقم(٢٤٩٩)، وابن ماجه فى : السنن: كتاب الزهد: باب ذكر التوبة ٢/ ١٤٢٠ رقم(٤٢٥١)، والدارمىُ فى : السنن : كتاب الرقائق : باب فى التوبة ٢/ ٣٠٣، وأحمد فى: المسند ٣/ ١٩٨ كلهم من حديث على بن مسعدة، عن قتادة، عن أنس مرفوعاً، وعقب الترمذى بقوله: « هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث على بن مسعدة ، عن قتادة »، وزاد أحمد : « ولو أن لابن آدم واديين من مال لابتغى لهما ثالثًا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب » .

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح : كتاب الإيمان : باب فضل من استبرأ لدينه ١ / ٢٠ ، ومسلم فى: الصحيح : كتاب المساقاة : باب أخذ الحلال وترك الشبهات ٣ / ١٢١٩، ١٢٢٠ رقم (١٥٩٩)، وابن ماجه فى: السنن : كتاب الفتن : باب الوقوف عند الشبهات ٢/١٣١٨، ١٣١٩ (٣٩٨٤) .

عندالله كقوله ـ سبحانه ـ فى صفات عباد الرحمن : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا (٦٣) ﴾ [الفرقان] .

وقوله ﷺ : « . . . وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه » (١) . « مَنْ تواضع لله درجة رفعه الله درجة حتى يجعله فى علِّيين . . . » الحديث (٢) .

٤ ـ التربية على نبذ الخصومات والعداوات والمراء والجدل بالباطل واتباع الهوى:

وذلك ببيان العواقب الوخيمة التى تتركها الخصومات أو العداوات، وكذلك المراء والجدل بالباطل، واتباع الهوى وسبيل ذلك : ما مضى وما سيأتى من علاجات لهذه الآفات، وأيضاً ببيان فضل ومنزلة سلامة الصدر من الأحقاد، كقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) ﴾

[الحشر]

وقوله تبارك وتعالى : ﴿وَلا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) ﴾ [الشعراء] .

وكان من دعائه ﷺ : « ربِّ أعنِّى ولا تُعِنْ علىَّ، وانصرنى ولا تَنصر علىَّ ، وامكر لى ولا تمكر علىَّ، واهدنى ويسِّرْ الهدى لى، وانصرنى على مَنْ بغى علىَّ، ربِّ اجعلنى لك شكارًا، لك ذكارًا، لك رهابًا، لك مطواعًا، لك مخبتًا، إليك أوَّاهًا منيبًا، ربِّ تقبل توبتى، واغسل حوبتى، وأجب دعوتى، وثبِّتْ حُجَّتى، وسدِّدْ لسانى، واهد قلبى ، واسلل سخيمة صدرى » (٣) .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى: الصحيح : كتاب البرِّ والصلة والآداب: باب استحباب العفو والتواضع ٤/ ٢٠٠١ رقم (٢٥٨٨)، والترمذى فى: السنن: كتاب البرِّ والصلة: باب ما جاء فى التواضع ٤/ ٣٣٠ رقم (٢٠٢٩)، والدارمىُّ فى: السُّنن: كتاب الزكاة: باب فى فضل الصدقة ١/ ٣٩٦، وأحمد فى: المسند ٢/ ٣٨٦ كلهم من حديث أبى هريرة مرفوعًا.

(٢) الحديث أخرجه أحمد فى: المسند ٣/ ٧٦، وابن ماجه فى: السُّنن: كتاب الزهد: باب فى البراءة من الكِبر والتواضع ٢ / ١٣٩٨ رقم (٤١٧٦) كلاهما من حديث أبى سعيد الخدرى مرفوعاً، وعقَّب عليه شهاب الدين البوصيرى فى : مصباح الزجاجة فى زوائد ابن ماجه ٤/ ٢٢٩ بقوله: «هذا إسناد ضعيف، دراج بن سمعان أبو السمح المصرى ـ وإن وثَّقه ابن معين ـ فقد قال أبو داود وغيره: حديثه مستقيم إلا ما كان عن أبى الهيثم، وقال ابن عدىٍّ: عامة أحاديث دراج مِمَّا لا يتابع عليه، وضعفه أبو حاتم، والنسائى، والدارقطنى ».

(٣) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن: كتاب الدعوات : باب فى دعاء النبى ﷺ ٥/ ٥١٧ ـ ٥١٨ رقم (٣٥٥١)، وابن ماجه فى: السنن: كتاب الدعاء: باب دعاء رسول الله ﷺ ٢/ ١٢٥٩ رقم (٣٨٣٠) كلاهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا، وعقب عليه الترمذى بقوله: «هذا حديث حسن صحيح» .

٥ ـ التحويل عن البيئة السيئة إلى بيئة صالحة :

وذلك بالتنفير من البيئة السيئة، وبيان عواقبها الضارة وآثارها الخطيرة، ثم تحسين البيئة الصالحة، وبيان عواقبها النافعة، وآثارها الحميدة، بل التحويل بالفعل من الأولى إلى الثانية، ومن خير ما يفيد فى ذلك قوله ـ سبحانه: ﴿ **الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ(٦٧)**﴾ [الزخرف] .

وقوله ﷺ : «إنما مَثَلُ الجليس الصالح، وجليس السُّوء كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك: إمَّا أنْ يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإمَّا أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير: إمَّا أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة »[(١)] .

٦ ـ إشعار المنتقد والمنصوح بتجرد النقد والنصيحة عن التشهير والشماتة:

وذلك بجعل النقد أو النصيحة فى السِّرِّ دون العلانية، وقرنها بالرحمة واللين والشفقة، والإكثار من الدعاء والتواضع، والتأكيد على إرادة الخير والمثوبة، والإصلاح قدر الطاقة والإمكان، على نحو ما صنع نوح فى قوله لقومه : ﴿ **وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِىَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ**﴾ [هود : ٢٩] .

وعلى نحو ما قال هود لقومه : ﴿**يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِىَ إِلاَّ عَلَى الَّذِى فَطَرَنِى أَفَلا تَعْقِلُونَ(٥١)**﴾ [هود] .

وعلى نحو ما قال نبينا ﷺ للمكذبين من قومه : ﴿**قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٨٦)** ﴾ [ص] .

وعلى نحو ما قاله شعيب لقومه : ﴿**إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِى إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨)**﴾ [هود].

٧ ـ مراعاة شروط وآداب النقد والنصيحة :

وذلك بتخير أنسب الظروف، وأحسن الأحوال، وأجمل الألفاظ، وإبراز المحاسن، ودقَّة التحرى والتثبت، ومراعاة السِّريَّة، وإرادة وجه الله، ثم الخير للمنتقد أو المنصوح، والتناسب سِنّاً ومقاماً بين الناصح والمنصوح ، إلى غير ذلك من الشروط والآداب التى لو رُوعيت بحق وصِدْق لعادت بأحسن الثمار، وأجمل النتائج .

---

(١) الحديث سبق تخريجه فى الجزء الأول، آفة « الفتور» .

٨ ـ التذكير بواقع السلف، وفرحهم بالنقد والنصيحة :

حيث كان عمر يقول : « رَحِمَ الله امرأ أهدى إلىَّ عيوبى » [١] .

وقال رجل له : اتق الله يا عمر، وأكثر عليه، فقال له قائل: اسكت فقد أكثرت على أمير المؤمنين، فقال له عمر : « دَعْهُ ، لا خير فيهم إن لم يقولوها، ولا خير فينا إن لم نقبل» [٢] .

وعن جبير بن مطعم أن نفراً قالوا لعمر بن الخطاب: والله ما رأينا رجلاً أقضى بالقسط، ولا أقول بالحقِّ، ولا أشد على المنافقين منك يا أمير المؤمنين، فأنت خير الناس بعد الرسول ﷺ ، فقال عوف بن مالك: كذبتم والله، لقد رأيت بعد رسول الله ﷺ خيراً من عمر : أبا بكر.

فقال عمر : « صدق عوف، وكذبتم، ولقد كان أبو بكر أطيب من ريح المسك، وأنا أضل من بعير أهلى ـ يعنى قبل أن يُسلم » [٣] .

وخرج ذات يوم من المسجد، والجارود العبدى معه، فبينما هما خارجان إذ بامرأة على ظهر الطريق، فسلَّم عليها عمر، فردَّت عليه السلام، ثم قالت: رويدك يا عمر حتى أكلمك كلمات قليلة، قال لها: قولى. قالت: يا عمر، عهدى بك وأنت تسمَّى عميراً فى سوق عكاظ، تصارع الفتيان، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر، ثم لم تذهب الأيام حتى سُمِّيتَ أمير المؤمنين، فاتق الله فى الرعية، واعلم أنه من خاف الموت خشى الفوت.

فقال الجارود : هيه قد اجترأتِ على أمير المؤمنين.

فقال عمر : « دعها ، أما تعرف هذه يا جارود؟ هذه خولة بنت حكيم التى سمع الله قولها مِنْ فوق سمائه، فعمر ـ والله ـ أحرى أن يسمع كلامها».

أراد بذلك قوله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ ﴾ [المجادلة] [٤] .

(١ ، ٢) انظر: الخراج لأبى يوسف ص ١٤، وعنه نقل الطنطاويان فى : أخبار عمر .

(٣) انظر : سيرة عمر لابن الجوزى ١ / ١٢٨، وعنه نقل الطنطاويان فى: أخبار عمر.

(٤) انظر : نهاية الأرب للنويرى ٣ / ٢٤٥، ومختصر منهاج القاصدين لابن قدامة، ص ١٢٨، وعنهما نقل الطنطاويان .

وقال ابن عون : كان الرجل يقول لمعاوية : والله لتستقيمنَّ بنا يا معاوية أو لنقوِّمنَّك، فيقول: بماذا ؟ فيقول: بالخشب، فيقول : إذن نستقيم [١] .

وقال عبيد القواريرى: لما لقى الرشيد الفضيل قال له: يا حسن الوجه أنت المسؤول عن هذه الأمة، حدثنا ليث عن مجاهد ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ [البقرة : ١٦٦] قال : الوصلة التى كانتْ بينهم فى الدنيا، فجعل هارون يبكى ويشهق [٢] .

وقال الرشيد لشيبان : عظنى، قال: لأن تصحب من يخوِّفك حتى يدركك الأمن خير لك من أن تَصْحَبَ مَنْ يؤمنك حتى يدركك الخوف، فقال الرشيد: فسِّر لى هذا، قال: مَنْ يقول لك أنت مسؤول عن الرعية فاتق الله، أنصح لك مِمَّنْ يقول: أنتم أهل بيت مغفور لكم، وأنتم قرابة نبيِّكم ﷺ، فبكى الرشيد حتى رحمه مَنْ حوله [٣] .

إلى غير ذلك من المواقف.

٩ ـ تحلِّى الناقد والناصح بالأمل والثقة فى الله ـ عز وجل ـ :

وعلى الناقد أو الناصح أن يكون متفائلاً ذا أمل وثقة فى الله الذى بيده مقاليد السموات والأرض، والذى إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون، فإن ذلك الأمل وتلك الثقة يحملان على الاستمرار مع عدم اليأس والقنوط إلى أن يأتى الله بالفتح أو أمرٍ من عنده.

ولقد رسم لنا رسول الله ﷺ هذا المعلم وثبَّته. كما فى حديث عائشة رضى الله عنها قالت : يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشدَّ من يوم أُحد؟ قال : «لقد لقيتُ مِنْ قومك [٤] ، وكان أشد ما لقيتُ منهم يوم العقبة [٥] فانطلقتُ وأنا مهمومٌ على وجهى [٦] ، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب [٧] ، فرفعتُ رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنظرتُ فإذا فيها جبريل، فنادانى فقال : إن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ قد سمع قول

(١ ـ ٣) انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٩٥، ٢٨٥، ٢٩٤ .

(٤) تقدير الكلام : «لقد لقيتُ من قومك ما لقيتُ» .

(٥) يوم العقبة : هو اليوم الذى وقف ﷺ عند العقبة بمنىً داعياً الناس إلى الإسلام، فما أجابوه، وآذوه، وذلك اليوم صار معروفاً.

(٦) «على وجهى» يعنى: على الجهة المواجهة لى، فالجار والمجرور متعلقان بـ (انطلقتُ)، أى: انطلقتُ هائمًا لا أدرى أين أتوجه .

(٧) قوله ﷺ : «فلم أستفق إلا بقرن الثعالب » أى لم أفطن لنفسى، وأتنبه لحالى، وللموضع الذى أنا ذاهب إليه وفيه إلا وأنا عند قرن الثعالب لكثرة همِّى الذى كنتُ فيه، انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج للنووى ٤/ ٤٣٨، ثم ينقل عن القاضى عياض قوله: «قرن الثعالب هو قرن المنازل، وهو ميقات أهل نجد، وهو على مرحلتين من مكة، وأصل القرن: كل جبل صغير ينقطع مِن جبل كبير».

قومك لك، وما ردُّوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فنادانى ملك الجبال، وسلَّم علىَّ، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا مَلَكُ الجبال، وقد بعثنى ربُّك إليك لتأمرنى بأمرك، فما شئت؟ [١] إن شئتَ أن أطبق عليهم الأخشبين » [٢].

فقال له رسول الله ﷺ : « بل أرجو أن يُخرِج الله مِنْ أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يُشرك به شيئًا »[٣].

وقد حقق الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لنبيه ﷺ ما رجا، إذ أقبل هؤلاء يُسلمون عام الفتح، وما بعده، ودخل الناس فى دين الله أفواجاً، كما ظهر هذا الأمل، وتلك الثقة عنده ﷺ فى دعوته لعمر بالهداية، إذ كان يكثر فى دعائه من قوله : « اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبى جهل أو بعمر بن الخطاب»[٤].

---

(١) قوله : «فما شئت؟» استفهام، وتقدير الكلام: ما الذى شئت حتى أنفذه لك؟

(٢) جواب الشرط محذوف تقديره: «أطبقت» يعنى: إن شئت ضممتُ الأخشبين، وجعلتهما كالطبق عليهم حتى يهلكوا تحته فعلتُ، والأخشبان هما الجبلان المحيطان بمكة: أبو قبيس، والأحمر، وهو جبل مشرف وجهه على قعيقعان، والأخشب: كلُّ جبلٍ خشن غليظ الحجارة، انظر: النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١/ ٢٩٤، والمنهاج للنووى ٤/ ٤٣٩ .

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح: كتاب بدء الخلق: باب إذا قال أحدكم «آمين»، والملائكة فى السماء فوافقت إحداهما الأخرى غُفر له ما تقدم من ذنبه ٦/ ٣١٢ ـ ٣١٣ برقم (٣٢٣١) (فتح البارى) بهذا اللفظ، وكتاب التوحيد: باب ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ ١٣/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣ برقم (٧٣٨٩) (فتح البارى) بلفظ : « إن جبريل عليه السلام نادانى فقال: إن الله قد سمع قول قومك، وما ردُّوا عليك».

ومسلم فى : الصحيح: كتاب الجهاد والسير: باب ما لقى النبى ﷺ مِنْ أذى المشركين والمنافقين ٣/ ١٤٢٠ ـ ١٤٢١ برقم (١٧٩٥) بهذا اللفظ.

(٤) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن: كتاب المناقب: باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٥/ ٦١٧ برقم (٣٦٨١) من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً به، وقال: «حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر»، غير أن فى إسناده: «خارجة بن عبدالله» وهو كما قال ابن حجر فى: التقريب ص ٢٨٣ برقم (١٦٢١): «صدوق له أوهام» وله شواهد منها: ما أخرجه الطبرانى فى : المعجم الأوسط ١/ ٣٤٤ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بإسناد فيه مبارك بن فضالة وقد قال عنه ابن حجر فى: التقريب ص ٩١٨ برقم (٦٥٠٦): «صدوق يدلس ويسوِّى» ولكنه صرح بالسماع من شيخه.

ومنها ما أخرجه الطبرانى فى : المعجم الكبير ١٠ / ١٩٦ ـ ١٩٧ من حديث ابن مسعود بإسناد فيه مجالد بن سعيد ، قال عنه ابن حجر فى : التقريب ص ٩٢ برقم (٦٥٢٠) : « ليس بالقوى، وقد تغيَّر فى آخر عمره » ، وفيه : محمد بن الحسن الأسدى ، وقد قال عنه ابن حجر فى : التقريب ص ٨٣٦ ـ ٨٣٧ برقم (٥٨٥٣) : «صدوق فيه لين».

ومنها ما أخرجه ابن ماجه فى : السنن: المقدمة ١/ ٣٩ من حديث عائشة رضي الله عنها بإسناد فيه ضعف.

ومنها ما عند الحاكم فى المستدرك ٣/ ٨٣ من حديث ابن مسعود مرفوعاً، وأقره الذهبى. =

وقد أجاب الله دعاءه ﷺ، فهدى عمر إلى الإسلام، وأسلم، وكان إسلامه عزّا وفتحًا ونصرًا للإسلام والمسلمين.

وظهر هذا الأمل، وهذه الثقة أيضًا لدى رسول الله ﷺ عندما جاءه الطفيل بن عمرو يقول له: إن دوسًا قد هلكتْ: (عَصَتْ)، وأَبَتْ، فادع الله عليهم، فقال ﷺ: « اللهم اهد دوسًا، وائت بهم »[1].

قال ابن حجر: «وقع مصداق ذلك، فذكر ابن الكلبى أن حبيب بن عمرو بن حثمة الدوسى كان حاكمًا على دوس، وكذا كان أبوه من قبله، وعمّر ثلاثمائة سنة، وكان حبيب يقول: إنى لأعلم أن للخلق خالقاً، لكن لا أدرى مَنْ هو، فلما سمع النبى ﷺ خرج إليه، ومعه خمسة وسبعون رجلاً من قومه، فأسلم وأسلموا »[2].

= وبهذه الشواهد جميعاً يصير الحديث ـ كما يقول الدكتور أكرم ضياء العمرى ـ السيرة النبوية الصحيحة ١/ ١٧٨: «صحيحاً لغيره».

ولكن الشيخ محمد الصادق عرجون فى: محمد رسول الله ١/ ٦١١ ـ ٦٢٧ بتصرف كثير وَهَّى الحديث من حيث المتن، مستنداً إلى أمور، منها:

١ ـ أنه مضطرب الألفاظ فى الروايات، فقد رواه صاحب الصفوة بلفظ: «اللهم أعز الإسلام بعمرو ـ أى أبى جهل ـ أو عمر»، ورواه ابن إسحاق عن خباب بن الأرت بلفظ: «اللهم أيِّد الإسلام بأبى الحكم ابن هشام، أو بعمر بن الخطاب»، ورواه ابن سيِّد الناس فى عيون الأثر بلفظ: «اللهم أعز الإسلام بأحد الرجلين: إمَّا أبو جهل بن هشام، وإمَّا عمر ابن الخطاب»، قال: وهذا الاضطراب فى ألفاظ الحديث يضعف روايته، ويوهى نصَّه.

٢ ـ أن أبا جهل كان ـ منذ جاء الإسلام ـ لعين الله تعالى وملائكته، ورسوله والمسلمين أجمعين بسبب عداوته الشديدة، وإيذائه المستمر للرسول والمسلمين، حسبه ما صنع مع سميَّة أول شهيدة فى الإسلام، وما صنع مع أسماء بنت أبى بكر الصديق يوم الهجرة، وهما امرأتان لا حول لهما ولا قوة، فكيف يتصور أن يدعو رسول الله ﷺ ربَّه أن يؤيد دينه برجل يفقد العزة والكرامة والمروءة ؟ .

٣ ـ أن جعل هذا الخبيث ـ أبا جهل ـ فى ميزان مع عمر بن الخطاب، وهو مَنْ هو فى جاهليته: رجولة، وفتوة، وعزة، وجدَّة، لا يستقيم مع موازين الرجال، والتطلع إليهم ليسهموا فى معالى أمور الحياة وقيادتها، ولو كان وضع الرجلين فى ميزان مستقيماً لكانت الدعوة بإعزاز الدين بالرجلين معاً أجدى وأنفع، والإسلام لا يضيق بإسلام الرجلين، وإعزازهما، وتأييدهما له.

٤ ـ أنه ثبت فى الصحيح دعاء النبى ﷺ على أبى جهل لما أفرط فى إيذائه له، فكيف يدعو عليه، وله، وهو مُجاب الدعوة ؟ .

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب المغازى: باب قصة دوس والطفيل بن عمرو الدَّوسى ٨/ ١٠١ برقم (٤٣٩٢) (فتح البارى)، ومسلم فى: الصحيح: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة. . . ٤/ ١٩٥٧ برقم (٢٥٢٤) كلاهما من حديث أبى هريرة مرفوعاً.

(٢) انظر: فتح البارى ٨ / ١٠٢ .

١٠ ـ مشاهدة الأحياء من ذوى الأسوة والقدوة الذين يفرحون بالنقد والنصيحة ويبادرون بالتنفيذ :

ومن أحسن طرق علاج رفض النقد أو النصيحة، مشاهدة الأحياء من ذوى الأسوة والقدوة الذين يفرحون بالنقد أو النصيحة، وينزلون على مقتضاهما، فإن ذلك يحمل على الاقتداء والتأسى أو على الأقل المحاكاة والتشبُّه.

فالابن إذا رأى أبويه قد وجه إليهما نقد أو أُسديتْ إليهما نصيحة ونزلا على مقتضاهما ـ حمله ذلك على النسج على منوالهما، وقِس على ذلك كل المواقف التى من هذا القبيل.

١١ ـ الإنكار بالوسيلة المناسبة ، وأقلها بالقلب :

ومن أساليب العلاج : الإنكار بالوسيلة المناسبة، وأقلها بالقلب، فإن ذلك أفعل فى التغيير والإصلاح.

إذ يقول النبى ﷺ : « مَنْ رأى منكم منكراً فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان »[(١)] .

ويقول أيضًا : « ما مِنْ نبى بعثه الله فى أمةٍ قبلى إلا كان له من أمَّته حواريون وأصحاب ، يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف مِنْ بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومَنْ جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومَنْ جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل »[(٢)] .

ولقد تحقَّقَ أثر هذا الإنكار على أرض الواقع حين تخلَّف كعب بن مالك، وهلال ابن أميَّة، ومُرارة بن الربيع عن الذهاب مع النبىِّ إلى تبوك فى السنة التاسعة من الهجرة

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الإيمان: باب بيان كون النَّهى عن المنكر من الإيمان ١/ ٦٩ رقم (٤٩)، وأبو داود فى: السنن: كتاب الصلاة: باب الخطبة يوم العيد ١/ ٦٦٧ ـ ٦٧٨ برقم (١١٤٠)، والترمذى فى: السنن: كتاب الفتن: باب ما جاء فى تغيير المنكر باليد أو باللسان، أو بالقلب ٤/ ٤٠٧، ٤٠٨ برقم (٢١٧٢) وعقب عليه بقوله: «هذا حديث حسن صحيح»، والنسائى فى : السنن: كتاب الإيمان : باب تفاضل أهل الإيمان ٨/ ١١١ ـ ١١٢ برقم (٥٠٠٨، ٥٠٠٩)، وابن ماجه فى : السنن: كتاب الصلاة: باب ما جاء فى صلاة العيدين ١ / ٤٠٦ برقم (١٢٧٥) ، وكتاب الفتن: باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ٢/ ١٣٣٠ برقم (٤٠١٣)، وأحمد فى: المسند ٣/ ١٠ كلهم من حديث أبى سعيد الخدرىِّ رضي الله عنه مرفوعا.

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الإيمان : باب بيان كون النهى عن المنكر من الإيمان ١/ ٦٩ ـ ٧٠ برقم (٨٠) ، وأحمد فى : المسند ١/ ٤٥٨ ـ ٤٦٢ كلاهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً به، إلا أن رواية أحمد انتهت عند قوله: «يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون» .

بغير عذر سوى عذر التسويف، والقدرة على الجهاز واللحاق بالجيش فى أىّ لحظة.

ودعاهم النبىُّ ﷺ لما عاد من الغزو ، وسألهم : ما الذى خلَّفكم ؟ فكلهم صدق النبى ﷺ . . . الحديث.

فأمر المسلمين بمقاطعتهم إلى خمسين ليلة، ثم جاء القرآن إلى النبى ﷺ بقبول توبتهم بعد ما أصابهم ما أصابهم.

قال تعالى : ﴿ لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١١٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩) ﴾ [التوبة] .

فقد علمتهم المقاطعة الانتباه وعدم الرجوع إلى الخطأ، وكذلك يمكن أن يحمل الرافضين للنقد، أو للنصيحة على القبول وعدم التمادى.

١٢ ـ تربية ملكة المراقبة لله ـ عزَّ وجلَّ ـ وخوف الآخرة :

وقبل هذا وذاك فإنه ينبغى التركيز على ملكة المراقبة لله ـ عزَّ وجلَّ ـ أنه يسمع ويرى ويعلم، وأننا راجعون إليه لا محالة، ومجزيُّون على أعمالنا بالسوء سوءًا، وبالإحسان إحساناً.

إذ لو تحقق ذلك فإنه يقود لا محالة إلى قبول النقد، والنزول على النصيحة خوفاً من سوء العاقبة، ولذا كانت الدعوة والتربية ـ أول الأمر ـ قائمتين على ذلك، قال تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠)﴾ [الشمس] . وقال تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ (١٥)﴾ [الأعلى] . وقال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد : ١١] .

حتى إذا قويت هذه الملكة زال الجدل والمراء من صدور الناس ، وصاروا أطوع ما يكونون لحكم الله ورسوله، وعندئذ أثنى عليهم ربُّ العزة بقوله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً(٢٣)﴾ [الأحزاب]. وقوله : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) ﴾ [النور] .